الباب السابع

في الارشاد

الارشاد من اهم ما يتوقف عليه ترقي الامة وحسن نشأتها في سائر الشؤون الدينية والادبية والمادية وهو العامل الاكبر للنهوض من هذا السقوط والانتباه من هذه الغفلة ولا يمكن ان يقوم به على اتم وجوهه غير العلماء الا ان هنا امرين مهمين يجب التنبه لهما · الاول ان امر الارشاد ليس بالامر الهين فكثيرًا ما سمعنا من جاهر بالحق فلم يسمع منه ومن نصح فلم يفد نصحه الا عنادا ولم يستفد هو الا معاداة المنصوح فلا بد حينئذ من معرفة الطرق اللائقة المقبولة التي تأتي بنتيجة حسنة فقد سمعنا من اكثر العلماء الاعتذار عن ترك الارشاد بانه لايفيد ولكن ما ذاك الا للجهل بطرقه اذ لايكفي لارشاد تارك الصلاه ان يقال له صلِ او ترك الصلاه حرام او نحو ذلك · الثاني ان بعض الناس يظن ان موضوع الارشاد مقصور على نحو الصلاه والصوم وترك الغيبة والزهد في الدنيا والرغبة في الاخره ومنهم

من يظن ان موضوعه قاصر على التقدم فى المدنية والعمران ومجاراه الامم الغربية في الاختراع والاكتشاف واحياء الصناعة والتقدم في شؤون هذه الحياة مع ان امر الارشاد اعم من ذلك ويجب ان يكون بحسب الدواعي والمقتضيات وهو كما يكون فى الشؤون الدينية البحتة يكون في الشؤون الادبية والمادية وسائر ما يرتبط بمصالح الامة فى عاجلها وآجلها

ولا شك ان الكمال في الامر الاول وهو ما يتعلق بكيفيه الارشاد وطريقه يتبع سعة العقل وكمال الاخلاق وحسن التفرس ويحتاج الى لوازم كثيرة سيأتي بيانها اما الكمال في الامر الثاني وهو ما يتعلق بموضوع الارشاد فيتبع معرفه اسرار الدين ومقاصده وتطبيق ذلك على الواقع بعد معرفة مواقع الضعف وكامن الداء وذلك شيء شاق لايمكن التوصل اليه بسهولة. ومن هنا ترى طلاب الاصلاح والعاملين على الارشاد فى الامة الاسلامية مختلفي المشارب متباعدي المرامي ومع ذلك فقد يكون الكمال فوق ما يطلبون ويتصورون ويكون كل واحد ادركه من وجه دون آخر وكثيراً ما ادى اختلافهم هذا الى ضد ما

يقصدون من حيث لايقصدون ومن هنا كان التغاضي عن الباطل احياناً خير وسيلة لنصرة الحق و بالجمله فهذا المعنى من اسمى المعانى واعلاها وادقها واخفاها واجل ما يعتنى ببيانه وتحقيقه وتحديده ولا اريد الآن الافاضه في تفصيله فذلك ان يكن ففي كتاب آخر وانما اريد التنبيه على انه امر واجب يجب الاهتمام به والتوجه نحوه ومتى توجهت اليه الافكار فلا بد ان يبلغ منتهاه من الكمال وقد يأتي بعض الناس بما لايخطر لمثلي على بال وقبل النهاية اقترح جعل الارشاد علماً مستقلا مدوناً تبين فيه موضوعاته وطرقه وكيفياته ولوازمه الخ الخ والله هو الهادي الي ما فيه الخير والرشاد

طرق الارشاد ولوازمه

علم مما تقدم وجوب الارشاد على العلماء ونشر العلم بين الناس وحثهم على العمل به واخراجهم من ظلمات الجهاله الى نور العلم وتحريرهم من رق الاوهام والآن نريد ان نبين شيئاً من طرق الارشاد ولوازمه ونقول انه لايكفى فى القيام بواجب الارشاد على الوجه المفيد مجرد معرفة احكام الفقه بل ولا هذه العلوم

المتداولة الآن جميعها الا نري ان اكثر الحرام والواجب معروف لدى الناس ومع هذا فهم يخالفونه بل في الحقيقة العلم بمسائل مثل النحو والفقه والتوحيد شيء وسياسة الارشاد وعلومه شيء آخر لايكون الا بكمال العقل وحسن الفطنة والحلم وسرعة الادراك ووجود التأثير والجاذبية واستعمال منتهى ما يمكن ان يصل اليه الفكر من الاساليب والحيل الشريفه التي تؤدي الى الغرض المقصود

صاحب سياسة الارشاد هو من يتمكن بسبب استعمال فكره في استنتاج وسائل الاصلاح واختراع اسباب الهداية من ان يجعل له سلطانًا على القلوب وتأثيرا في النفوس حتى تكاد ان تكون فى رقه يوجهها كيف شاء واين شاء ومتى شاء

صاحب سياسة الارشاد هو الذي يكون مثله في الوصول الي اعظم الغايات النافعه المفيدة التي قد لايخطر ببال الناس وصول احد اليها كمثل مخترع الوابور والتلغراف والفونوغراف والتليفون حيث وصلوا باستعمال عقولهم فى التحايل والتفنن الى اعظم الغايات التي قدمت العالم ونفعته نفعاً لايقدر وكانت من قبل

تعد فى حيز المستحيل لايصدق احد بامكانها فضلاً عن حصولها

صاحب سياسه الارشاد هو الذى يقدر بقوة تأثيره على تبديل العقائد (الفاسدة) وقلب العادات (القبيحة) وجعل المحبوب مكروهاً والمكروه محبوباً وقد لايحتاج فى كل هذا لان يقول بالتصريح ان هذا حسن وهذا قبيح بل تكفيه الاشارة والتلويح بكيفية تدلي بطبيعتها الى هذه النتائج وتسوق العقول اليها

صاحب سياسة الارشاد هو الذي يتنازل من سماء علوه الى مخالطة سائر طبقات العالم شريفها ووضيعها ومشاركتهم فيما هم فيه بل واستحسانه موقتاً وان كان فى ذاته قبيحاً . بينما تجده مع اكبر كبير يتحادث ويتسامر وينتقل من موضوع الى موضوع ومن اسلوب الى اسلوب اذا به مخالطاً لاحقر حقير يشاركه فى حاله ويساعده على عمله ويخاطبه بالخطاب المألوف عنده وفى الموضوع المشتهي لديه وغايته من كل ذلك واحدة وهي التوصل لغرس شجرة الهدايه الى منتهى السعادة وتأجيج نار الشوق الى الكمال الاسلامي فى قلب مجالسه وكل افعاله واقواله انما يسوقها على وفق مقتضيات الاحوال ودواعي الظروف ليتوصل بها الى مقصده الذي

يدعو اليه

صاحب سياسة الارشاد هو الذى لاتؤثر عليه العادات ولا يكون عنده غرور بفكره ولا ثقة شديدة بنفسه لا هو من المتهورين ولا اصحاب الجمود

صاحب سياسة الارشاد هو من ينظر فى الامور نظر الخبير و يتدبر العواقب والمبادي والغايات و يتقن التطبيق وادخال الجزئيات تحت الكليات وترجيح ما ينبغي ترجيحه من جهتي المصلحه والمفسدة في الشيء الواحد اذ كثر ما يكون الشيء في ظاهره من المفاسد والامور المنهيه ولكن يكون وراءه مصالح جمه تسوغه او تكون المفاسد التي تنشا عن ابطاله اكثر منه وطالما يكونون الشيء بظاهره من المصالح والامور المطلوبة ولكن يكون وراءه او في حمل الناس عليه مفاسد لا تحصى وكثيراً ما يكون ظاهر الامر ادخال هذا الجزئي تحت القاعدة المبيحة ولكن عند التأمل يوجد من حاله او آثاره او ما يترتب عليه ما يدخله تحت القاعدة المحرمة والعكس اذ قواعد الشرع المختلفة تتوارد على الشيء الواحد باعتبارات شتى وقد يندر وجود ما لاتعتريه الاحكام الخمسة. فعمل المرشد

البصير ان يدقق النظر في التطبيق والترجيح حتى يشير بفعل او ترك اذ الى هذا المعنى كان يرجع اسم الفقه في صدر الاسلام. فاذا رأى مثلاً من يحاق لحيته من موظفي الحكومة ومعلوم ظاهر ان ذلك مذموم شرعاً فقد يكون اذا بدأه بان من قواعد الدين ذم حلق اللحية وترك التعمم وعدم اسبال العذبة وامره ان يعمل ذلك نفر منه نفوراً تاماً ووجد وحشة كلية من قواعد الدين واحكامه وتمثلت عنده بهيئة الشيء الثقيل والتكليف الشاق الذي لايناسب الاذواق فضاع هو من يد المرشد وضاع ما كان ينتظر منه من الاحوال والاعمال اذ ربما كانت استقامته لو استقام كاسلام عمر في العود على الدين بالعز والشرف وفي التسبب في استقامة الكثيرين وتأييد الدين الخ الخ الخ

ولكنه لو تغاضى عن ذلك اولا . لابل قال له ما بهذا من بأس على شرط ان تعرف ربك الذي انعم عليك بنعمة الوجود ولو شاء لاعدمك وبنعمة العقل ولو شاء لجعلك مثل هؤلاء المجانين وبهذا الرزق ولو شاء لجعلك كأفقر المسلمين وان تحبه فان النفس ميالة الى حب من احسن اليها وان تعمل ما طلبه

منك وهو لم يطلب منك الا ما فيه مصلحة لك وان خفيت عليك وان لاتشرب الخمر ففيه من المضار كذا وكذا وقد قال الحكيم فلان (والمسيو كذا) في ذمه كيت وكيت وبين الاكتشاف الاخير انه يورث داء كذا وكذا الخ الخ الخ . لو فعل معه هكذا لاطاعه واستأنس به وانصت اليه ثم لايزل معه على هذا المنوال حتى يأتى وقت يقبل فيه بكل ارتياح ذلك الفعل الذى لو امره بفعله اولاً لترك الشرع واهله بالمرة واستمر على اعراضه بل زاد فيه

وبالجملة فان الارشاد له طرق دقيقة ولوازم كثيرة ولا يكفى فيه مجرد العلم فكثيراً ما يعرف الانسان الحق ولكنه لايدري كيف يحمل الناس عليه بل كثر ما يعرف الحق فى امر ويريد ان يحمل عليه فيأتي بكيفية تورث من المفاسد والمضار ما يفوق ترك ذلك الحق بمراتب ومع ذلك فلا يتمكن من اقناع الناس بوجوب التمسك به

ومن اهم هذه اللوازم حسن البصيرة فى عاقبة الامر واتقان التطبيق والترجيح (على ما مرّ) والابتداء بالاهم والاسهل على

النفوس وعدم مفاجأة من ليس على مذهبه بنقط الخلاف · فان رأي شيعياً او معتزلاً لا يصلي فليتحبب اليه وليقوي معنى الرابطة الاصلية بينهما بقطع النظر عن نقط الخلاف وليرشده اولا الى وجوب الصلاة لا الى ان ابا بكر افضل من علي او ان الافعال مخلوقة لله لا للعبد فان الكلام في الثانى لايفيد الا التنافر دون الاول ومع الابتداء بهذا الاول فقد يسهل الكلام في الثانى · وعدم المجاهرة بالمقصد دفعة بل قد يحتاج الى الاغضاء اولاً عن كثير من الامور المخالفة بل الي اظهار استحسان شيء منها على وجه مناسب · وحسن التفرس وعدم الغلظة والعناد ومخاطبة كل انسان بمثل المعهود لديه و بالاسلوب الذي يكون موءثراً عنده والحلم والاناة والتواد والالفة والالمام بكثير من وقائع التاريخ واجادة التمثيل والتشبيه والتزييي بالزي الحسن والجرأة وعدم الانفة والاستحياء من الامر الذي لم يعتده و يري انه سبيل الى الخير والاحاطة باسرار الدين ومقاصده في الاحكام وتقريب المنقول من المعقول وتجنب الاملال من اي موضوع والتشويق دائماً الى ما عنده بعدم الاندفاع فى ابدائه دفعة واحدة ومعرفه تطبيق الآيات والاحاديث

على وقائع الظروف والاحوال والصبر والثبات والتحمل والبشر التام ومدح المخاطب والثناء عليه وملاطفة الصغار ومسايرة الكبار الخ الخ والله هو الهادي الى سبيل الارشاد

مخالطة الناس

اذا كان العالم مسئولا عن غيره وعليه القيام بواجب الارشاد والتعليم للناس فهذا بالطبع لايتم الا بمخالطتهم عل اختلاف طبقاتهم خصوصاً والمخالطة سبب الميل والانس الموجب لقبول ما يلقى اليهم من الارشاد النافع هذا فضلاً عن انه يعتبر من اعظم الاسباب لانتشار العلم والفضيلة والاستقامة والكمال أما اولاً فلان العالم اذا خالط الناس فقد تسعده الصدف بمعرفة من يكون خير عضد له فيما هو بصدده وكثيراً ما يوجد في الناس اقوام متحدون فى المبادىء والمشارب راغبون فى الكمال والفضيلة ولكنهم متفرقون لايعرف بعضهم بعضاً .وجودون بين اقوام على غير مبادئهم كل منهم يبحث عن مثله فلا يجده فالمخالطة اعظم وسيلة لحصول كل على ضالته ووصوله الى بغيته

والتقائه بمن يطلبه ولا يجده وقد يكون في التقائهما ما لايحصى من المنافع والمصالح التي تعود على المجتمع الانساني بالخير والكمال

واما ثانياً فلان في معرفة الطبقة العالية اكتساب نفوذ وتأثير حسن لايستغني عنه مريد الاصلاح فان الحق اليوم ما صدر عن كبير وان كان في ذاته فاسداً ولست اذهب مذهب من لايحبون الاختلاط بالحكام واهل الطبقة العالية ولا من يذمون مصاحبة السلطان نعم اقول انه لابد ان يكون بقصد ارشادهم فان السعي في هداية اولئك من اجلّ الاعمال وافيدها اذ الناس على دين كبرائهم وملوكهم ولا يعلم الا الله مقدار ما ينجم عن مخالطتهم بهذا القصد من الفوائد الكبرى سواء اهتدوا واثر فيهم الارشاد ام لا فان تلك المخالطة في ذاتها تفيد في ارشاد غيرهم على انه وان لزم ان تكون مخالطتهم بهذا المقصد فليس معنى ذلك مفاجأتهم بما يكرهون بل ايجاد الفرص والمناسبات القولية والفعلية واستعمال سائر ضروب السياسة في سبيل اقناعهم برفق ولين

وكما ارى مخالطة الكبراء فاني احتم مخالطة الضعفاء والطبقات السافلة من الناس والتحبب اليهم ومشاركتهم في احوالهم فانهم جمهور الامة وهم اقرب للامتثال من غيرهم وخير اعمال البر ما ترفع به السافل الى مرتبة العلو اذ هذا هو مقتضى العقل وسنن التكوين

اما العزلة وعدم مخالطة الناس والاكتفاء بالاستقامة الشخصية والعكوف على ضروب من العبادات كالصلاة والتسبيح وزيارة الاولياء فصاحبها لايسمى عالماً بل زاهداً . اولى شيء به ان يذهب الى شعاب الجبال ليعبد الله لا ان يتصدى لمقام العالمية و يجعل نفسه من العلماء فان لكل حال رجالاً الا ترى ان الاعمى لاينبغي ان يكون قاضياً وان كان في ذاته كاملاً ولا الاخرس او ضعيف الصوت لاينبغي ان يكون خطيباً وان كان من خير الاتقياء

هذا الحال حال العزله وترك الاختلاط وان لم يناسب العلماء ولم يجز ان يكون منهم من يتصف بـه فهو حسن ومناسب بالنسبة لفريق من الناس ولكن اسوأ الاحوال واشدها بؤساً

ما يفعله بعض العلماء اليوم من التزلف والتملق والتقرب من بعض الموظفين واهل النفوذ والجاه واحترامهم والتواضع اليهم بكيفية يمجها الذوق السليم. يفعلون ذلك لا لقصد التمكن من الارشاد بل حباً في الجاه والشهرة وقضاء بعض المصالح الدنيوية ومن العجب انهم مع ذلك يأنفون ويستكبرون على سائر الناس من امثالهم ومن هم دونهم ويتشامخون بانوفهم كانهم ظنوا ان لين الجانب والمعاملة بالحسنى مع غير الكبراء لاتليق بهم وهم آلهة النوع الانساني ولبئس القوم وبئس حالهم فان امثال هؤلاء لاقيمة لهم في الوجود وان كانوا يعدون عند الناس من كبراء العلماء كما انهم لايعرفون قيمة العالمية التي علقت في اعناقهم كما يعلق الدر في جيد من لايصلح له. ولعدم معرفتهم قيمتها تراهم . اولاً يتسابقون الى معرفة الذوات والخضوع لهم لاحراز الشرف والجاه بحسب زعمهم لانهم يرونهم اعظم منهم بمراحل وتراهم . ثانياً يحقرون ابناء جنسهم من العلماء لظنهم انهم صاروا اكبر منهم بسبب الانتماء الى الاكابر ومعرفة الذوات. واقبح ما يكون شغل امثال هؤلاء لبعض الوظائف فطالما رأينا من ساداتنا العلماء الموظفين حتى الشاغلين للمراكز

السامية من اذا دخل عليه بعض العلماء او اهل العلم نظره بعين الاحتقار والتكبر كانه من عبيده او عبيد ابيه بل كأنه المنعم عليه بنعمة الوجود وان اعطاه شيئاً من علامات الاحترام والتحية المعتاده فمع مزيد التكلف وشديد الاستثقال فاذا ما جاء زائر من غير ابناء جنسه قابله كما يقابل الصغير الكبير خصوصاً ان كان (من الاغنياء او لابسى الطرابيش) فانه حينئذ يعطي له من الاحترام والاقبال ما يخرج عن حد الاعتدال وقد يشمئز منه الزائرون انفسهم فما اقبح واسوأ هذا الحال

ان اكثر العلماء اليوم لايرضون مخالطة الطبقات المنحطة ظناً منهم ان هذا يشينهم او يحط من قدرهم وهو ظن فاسد مضر مؤخر بل بمثل هذا التنازل والتواضع والاختلاط ينبغي ان يكون التفاضل بين العلماء لا بالابهة والكبرياء والتعالي والا فمن الذي يتواضع و يتنازل ان لم يفعل العلماء ذلك ومن الذي يرشد تلك الطبقات و يقدمها و يرفعها اذا لم يقبل العلماء مخالطتها هل كتب عليها الذلة والمسكنة والجهالة والانحطاط الى الابد وهل العالم وجد لاجل ان يتعالى و يتغالى في علوه وكبره واعجابه

بعلمه موطنه انه فوق الناس وأعلى من ان يخالطهم ام لاجل ان يتواضع وينفع ويرشد الناس ويأخذ بايدي الضعفاء. صلى الله وسلم على من كانت الجارية تأخذ بيده فتنطلق حيث شاءت من جهات المدينة وما العلماء الا ورثة الانبياء. تالله لو تنازل العلماء وتركوا الفخفخة والكبرياء وخالطوا ضعاف الناس لامكنهم ان يصلحوا من الاحوال ويرقوا الشؤون ويكتسبوا المحمدة والثواب الاعلى والرفعة الحقيقية. بهذا يكون الفخر. هذا هو عمل الرجال. هذا هو الذي ينبغي ان يكون موضوع التفاضل بين العلماء. هذا هو داعي الاحترام والرفعة والدال على المروءة والكمال. ولا ادري متى يعلم ساداتنا العلماء وخصوصاً كبرائهم ان الكمال اللائق بهم لايكون بالتعالي والتكبر وتصدير اليد للتقبيل فان ذلك عمل اهل الطيش من الحكام بل كمال العالم من حيث هو عالم في التواضع واللين وخفض الجناح واحترام الضعفاء والفقراء والاقبال عليهم والبشاشة في وجوههم والأخذ بايديهم في الاستكمال والترقي المطلوب لكل انسان بالفطرة.

وبالجملة فان مخالطة سائر الطبقات واجبة على العلماء ولمخالطة كل طبقة منها شروط وآداب كثيرة لابد من رعايتها والا اضرت المخالطة فمثلا مخالطة الكبراء لابد ان تكون مع العزة والمحافظة على الحيثية العلمية ولكن على شكل مقبول لايؤدي الى الاستثقال ولا يبعد عن معنى اللطف والرقة والتواضع والايناس الخ الخ والله الموفق للصواب

مجالس الوعظ

كان للوعظ العناية الكبرى والتأثير المهم فى القرون الماضية لانه من اهم الامور التي يتوصل بها الى نفخ روح الحياة في الامة ولا ارى زمناً احوج الى الوعظ من زمننا هذا لفساد الاخلاق فيه وضعف الاحساس ولكن من الاسف اننا اهملنا هذا الواجب بل واحتقرناه حتى كأنه ليس مما يليق بالعلماء فلا نجد الآن احداً منهم يجلس للوعظ والتذكير في مسجد جامع ليعظ الناس ويرشدهم الى امر دينهم مع ان الناس في اشد الحاجة الى ذلك واشدهم احتياجاً الطلبة انفسهم وحبذا لو جلس

احد كبار علمائنا مجلس وعظ فى الجامع الازهر ليعظ طلاب العلم على اختلاف طبقاتهم. على ان العلماً وان احتقروا الوعظ بسبب كبرهم العاطل فلا ابالي ان اقول انهم لايحسنونه وان اكثرهم لايمكنه ان يؤدي هذه الوظيفة كما ينبغي خصوصاً والوعظ ينقسم الى اقسام شتى فوعظ طلاب العلم غير وعظ العوام ووعظهم غير وعظ المتنورين من تلامذة المدارس. فمن هذا ارى وجوب الاعتناء بهذا الموضوع المهم وان يتاهل العلماء للقيام بهذه الوظيفة السامية واقترح ان تعوض قراءة سورة الكهف في المساجد الجامعة بمجلس وعظ من احد افاضل العلماء لان هذا الوقت الذي يجتمع فيه الناس مع صفاء الفكر والانقطاع عن الشواغل الاخرى والمكث لانتظار الصلاة خير فرصة تغتنم للقيام بالوعظ. والتأثير على الناس وتنبيههم خصوصاً والخطبة اليوم اصبحت غير مؤثرة بل غير مفهومة وان كانت موضوعة في الاصل لاجل ان تفيد ما نريد ان تفيده مجالس الوعظ لتدارك هذا الخلل ومثل الخطبه فى عدم التاثير قراءة القرآن

الخطبة

الخطبة من اجلّ الامور واهم الاسباب لتقويم العقول وتعديل

الاخلاق وانتهاج مناهج التقدم والفلاح وهي على الحقيقة خطاب ارشاد يكون بصوت عالٍ على مكان مرتفع (المنبر) ليسمع جميع الناس فمن اللازم فيها قوة التأثير من الخطيب وفهم الناس لمقاله وكونه من اهل النفوذ والمكانه والاستقامه حتى تفيد وتكون لها ثمرة وتطابق اصل الوضع

ولكن مما يوقع في الاسف ان الخطبة خرجت عندنا عن هذا المعنى المقصود الي ان صارت من الامور التعبدية والرسوم الدينيه التي لايقصد من الاتيان بها الا توفية المطلوب بحسب الصورة فلم يكن هناك تعويل الا على الاتيان بها محاكاة لما كان في صدر الاسلام · كلام بليغ مسجع غريب المفردات لايفهمه الخطيب فضلاً عن غيره · بل كان اكثر الخطبا لايظن ان الخطبة خطاب (وان كان فيها ايها الناس) لذلك هم يلقونها القاء التلاوة بنغم وترنم خاص كانها الآية التي تقرأ عقب الفاتحة فى الصلاة وهذا لعمري خروج عن الوضع وابتعاد عن المقصد الذي وضعت من اجله الخطبة من وعظ الناس وارشادهم وتعليمهم بطرق مؤثرة فان ذلك يقضي ان تكون الخطبة بالاسلوب والالفاظ المفهومة

وهذا الاسلوب المستعمل الآن كان ينهم ويؤثر في العصور السابقة حين رواج العربية الفصحى ببلاغتها العالية ولكنه الآن غير مؤثر ولا مفهوم عند اكثر الناس فمن العبث شدة التمسك به ومن السفه ان يخاطب اقوام بما لايفهمون

الخطبه كانت في سالف العصور من الامور الرفيعة والوظائف العالية التي لايقوم بها الا الخلفاء ونوابهم وهي الآن يقوم بها كثير من جهلة الناس واهل الاخلاق السيئة منهم وهذا نقص عظيم فان الخطبه من العظماء توجد التأثير المطلوب بخلافها من غيرهم

الخطبة هي الدرس العام الاسبوعي الذي تتلقى فيه الامة جوامع الكلم المعدله للعقول والمصلحه للنفوس والهادية الى الصراط المستقيم والمبينة للحسن والقبيح من الاشياء والصحيح والفاسد من الاخلاق وهي التي تستنهض الهمم للعمل بما فيه خير الدنيا والآخرة

الخطبة هي الامر العام الذي اليه المرجع في الشؤون الاسلامية التي تنفع الامة وترقيها وتبلغها اوج الكمال

ولا شك انها بهذا وذاك لاينبغي ان تقتصر على ضرب معين ولا على موضوع خاص بل يجب ان تكون على وفق ما يقتضيه حال السامعين وما هم في حاجة اليه وذلك يختلف باختلاف الناس والازمنة والامكنة والاحوال فان انواع التقصير مختلفة وضروب المنافع متفاوتة وقد يوجد من كل عند اقوام ما لايكون عند آخرين

ولكن الخطباء اليوم قصروها على مواضيع خاصة نحن فى اشد الحاجة الى غيرها بل قد لاتفيدنا اصلاً · فمثلا يجعلون خطب المحرّم في وعظ الحجاج فتراهم يخاطبون الحجاج وقد لايكون من البلد حاج اصلا بل قد يتوسعون ويذكرون المعاني السخيفه فقد سمعت خطيباً يخطب فى جامع كبير مشهور وجلّ خطبته يدور على ان شين شعبان شين الشكر وعينه عين العناية وباءه بالبر الى غير ذلك من الامور التي تشمئز منها النفوس

هذا فضلاً عن ان الخطيب قد لايفهم ما يقول وقد يقع بين يديه فى كل جمعة من المنكرات ما لايجوز عنه الاغضاء ويجب ان يكون من اول ما ينبه عليه في الخطبة

وذلك بلا شك اعظم برهان على جمود الامة وتقهقرها وانحطاطها · واى برهان يكون على هذا اعظم من التمسك بالقشور ونبذ اللب وترك الامور والمعاني الحية والخطب المؤثرة المنهضة والمكوف على صور تحاكيها فى بعض الهيئة والوضع وتخالفها فى الموضوع والفائدة والتأثير

واأسفاه · اين هم ثم اين هم اولئك الخطباء الذين كانوا اذا صعدو المنبر خطبوا عن البديهة ما يجعل الرجال تجود بارواحهم واموالهم حتى ان الكلمة الواحدة منهم كانت تفعل مالا تفعله القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة و ينال بها ما لاينال بالقهر والضرب بالسيوف

اين هم ثم اين هم اولئك الذين رقوا المدارك وارشدوا الى اوجه المصالح وكانوا كلما صعدوا المنبر صعدوا بامهم الى اوج المعالي وسماء الكمال

تالله لقد ذهبوا وذهبت آثارهم وخلف من بعدهم خلف وضعوا وظائف الملوك في ايدي الصعاليك وسلموا زمام الخطبة الى من هم في اشد الحاجة الى المعارف البسيطه وضيعوا تلك الفرصة

الثمينة والتشريع العالي الذي شرع لارشاد الامة وهديها للصراط المستقيم واتخذوا الخطبة مأخذ الامور المتممة لاحتفال ركعتي الجمعه مع انها من اهم المقصود بالذات * ما هذا الذهول عن اسرار التشريع والخروج عن مقاصد الشريعة

اني لاكاد ان اقف خطيباً يوم الجمعة على المنبر في مسجد جامع اخطب باللغه القريبه من العامية حتى مستمعها مشوقاً مرغباً مخوفاً مبيناً وجوه النقص وكيف يمكن تداركها معرضاً عن الكلمات اللغويه والاستعارات المكنيه والتخيليه والسجعات الرباعيه والخماسيه ليعلم الناس كيف تكون الخطبه وليعلموا انها كالانسان تموت وتحيى وتسعد وتشقى وان كان اكثر الناس عن هذا غافلين

الخطبه ياقوم لايلزم بل لاينبغي ان تكون محفوظه من قبل · ولا ان تكون من باب الاستعارة والتمثيل · الخطبه ياقوم لابد ان تكون مصحوبة بحال عال وغيرة شديدة وداعية كبرى من نفس الخطيب فان كل كلمه عليها حلة من القلب الذي خرجت منه الخطبه لابد ان تكون في الموضوع المحتاج اليه وبالعبارة

المفهومه المؤثرة

الخطبه لايلزم قصرهـا على يوم الجمعه بل ينبغي ان تكون كلما دعت الحاجه

فلهذا كله ارى ان من اشد الواجبات وجوباً اعتناء الادارة الدينيه بامر الخطبة والخطباء و بتعليم العلماء والطلاب وتمرينهم على هذا الامر المهم العالي ولو بتعليم خاص وان يعطى امتياز لمن يمكنه ان يخطب ارتجالاً بالعربية ثم ارتجالاً بغيرها وان تنشيء خطب كثيرة بلهجة مؤثرة وعبارة مفهومة في المواضيع الكثيرة التي تحتاج اليها الامة وان يكون منها ما يخص المدن وما يناسب الريف وان يعتنى بتشريف الخطبة وتعيين الخطباء من افاضل المتخرجين شيئاً فشيئاً حتى يستدير الزمان و يرجع الحال كما كان والله ولى التيسير

الباب الثامن

في طريق تنفيذ الاصلاح

ليس هناك اصعب على النفوس من الانتقال عن العادات الموروثة . ولا اشق عليها في مبدئها من الخضوع للدستور والنظام .